شهوات مبكّرة

شوقي بزيع

بدأ العالَمُ كالتالي:
ضبابٌ برتقاليٌ يوشّي الرُّوح،
أخلاطُ غبارٍ
وترانيم،
قصاصاتُ نجومٍ تتلاشى تحت سقف البيت
كالأجنحة الغرقى
وتنحلُّ مع الوقتِ كراتٍ
من رمادْ.
بدأ العالم كالتالي:
يمامٌ داكنٌ يقطر من نَهْدَيْ
سماءٍ تتداعى،
جانبيَّاتُ وجوهٍ يتراءى
ظلُّها المكسورُ في الضوء كَسَيْفٍ
من خيالاتٍ،
فوانيسُ مدلأَةٌ
تعرّي قَلْبَها الهائلَ للموجِ
وتنأى عن مدى أقمطتي البيضاء،
فيما امرأةٌ مجهولةُ الغصَّةِ
تُلقي بي
إلى نهر الحداءِ المستعادْ،
ويدٌ معروقةٌ
تُنْزِلني عن صهوة المهدِ
إلى خطواتي الأولى على الأرض،
يدٌ تَسْحبني نحو طريق الموتِ
كالأبله.

*

أوَّلُ ما شاهدتُهُ هنَّ:
نساءٌ غارقاتٌ في السوادْ
يتمايلْنَ على نعشٍ،
على نعشِ فقيدٍ ما،
ويَحْنينَ كما الأشجارُ قاماتٍ
تراءتْ لي مراياها
كإكليلٍ من الشهوة.
أوَّلُ ما شاهدتُ كان الكحلَ والدمعَ،
لذا لم أُدرِكِ الرغبةَ
إلا ومضةً تلمع في بريَّة الموتِ،
أو المرأةَ
إلا جسداً يَغْرق في ثوب الحدادْ

*

لم تكد تحملني ساقاي نحو الباب
حتى دفعتْني الريحُ من إبطيَّ
كالسهمِ
وطافت بي مدارات شعابٍ
ومجرّاتٍ صغيرهْ.
كنت أُصغي لطنين النحل في اليَعْسوب،
أو أنصتُ ساعاتٍ
لكي أسمع ما أحسبه بعد قليلٍ
نَفَسَ الأزهارِ في الأحواض،
أو صَوْتَ سعال القشِّ
في قلب الظهيره.
سابحاً تحت النهارات التي تسطعُ
في أودية مكتومة الصوت،
تحالفتُ مع الأبوابِ
ضدَّ البيت،
واللَّسعة ضدَّ النَّحل،
وانحزتُ إلى الصاعقة الثكلى التي يكبر
في عهدتها البلُّوط،
مجتازاً طريق المدرسهْ
نحو ما يجترح السيلُ
من القيعان،
أو ما يرفع النهرَ على ساقينِ
منْ ماءٍ،
ومحمولاً على ظهر نجومٍ
تتراءى كالحصيره
في فناء الغيم،
أليافُ نباتٍ محضةٌ
كانت تواري جسدي الراكضَ
كالقطعانِ
في شمس الضُّحى الوحشيِّ،
والمفلتَ كالأرْسنةِ الهوجاءِ